

## بائع السعادة

د / سمرا براهيم - مصر

إذا جعلت من حولك سعداء فستضاعف سعادتك، ولكن إذا وزعت الأسمى عليهم فسيزداد حزنك. إن الناس في الغالب ينسون ما تقول، وفي الغالب ينسون ما تفعل، ولكنهم لن ينسوا أبداً الشعور الذي أصابهم من قبلك ..  
..فهل ستجعلهم يشعرون بالسعادة أم غير ذلك!!.

البداية..

بيت صغير مبني من الطوب اللبن ، يعيش فيه عجوزان رقيقان للحياة كل منهما مريض بمرض مختلف عن الآخر. ولكن كل منهما لا يعرف مرض الآخر. فواحد منهم كان يستطيع السير والوقوف على فترات في اليوم، والآخر لا يستطيع النهوض حتى لقضاء حاجته ، ظلاً هكذا سنوات ولا أحد يخدمهما سوى فتاه صغيرة لم تتجاوز العشرين من عمرها كانت تسكن بالجوار، وكانت تحبهما لخفة ظلهم. فكانا يهونان عليها وحدتها فهي بلا أب أو أم أو أهل ، وهما أيضا بلا أبناء. فكان كل منهما يرى غايته في الآخر. وعندما كان يحل المساء كانت تذهب الى منزلها بعد أن تكون لبث لهما كافة طلباتهم ، وكانا العجوزان يتسامران ليلا فكان الزوج يحكي لزوجته عما بدا له من جمال الفتيات، والزوات التي مر بها في شبابه. ولكنه لم يرى أجمل منها حسناً فكانت تفرح كالطفلة الصغيرة وتتغنج عليه في دلال ، وهو سعيد لسعادتها



وظل كل يوم يطيل في الأحاديث الشيقة التي تعيد لهما شبابهما ويحكي عن شقاوته مع الفتيات الشقراوات والسمرارات والخمراوات . وهي أيضاً تحكى كيف كانت لها مغامرات في الحارة مع الشباب وكيف كانوا يعاكسونها ويتراهنون على جمالها وكانت لاتعيرهم إهتماماً وكأنها كانت تنتظر فارسها. وعندما جاء هوليتزوجها كفت عن هذا العبت لأنه هو من خطف قلبها منذ الوهلة الاولى .. ظلا هكذا كل يوم عندما يحل المساء يجلسان ليتسامرا .. الزوج العجوز يجلس على الأريكة يحكى والزوجة القعيدة مستلقية على ظهرها تستمع في شوق معهود لأحاديث زوجها . وكانا كل منهما يغمض عينيه ليسمع الآخر ويتخيل كم كانا كل منهما حلم للآخر وأمنياته في الحياة. كان الزوج العجوز يصف زوجته بأنها أجمل نساء العالم بشعرها الذهبي وبياضها الناصع وجمالها الفتاك الذي مازل يؤثره وأنها هي حب حياته الذي عوضه عن الولد والأبناء ، فهى له الإبنة والزوجة ورفيقة الدرب . فكانت الزوجة العجوز تغوص في بحر العسل متأثرة بهذا الكلام المعسول من زوجها ورفيق دربها .. وفي يوم من الأيام طلبت العجوز أن تتأبط ذراع زوجها وتسير معه على حافة البحيرة التي بجوار منزلها فقال لها زوجها إغمضى عينيك وسترى كيف نحن نسير عليها ، حيث تغمرنا أمواجها ونحن نرى الناس تؤجر المراكب وبيحرون فيها والأولاد وهم يلعبون ويلهون في الماء ، هل ترين الجميع حولها الآن . هل ترين المحبين الذين يجلسون تحت ظلال الاشجار التي حول البحيرة ؟ ما أجملها زهور وما أجمله إبداع للخالق .. هل ترين هذه الوردة الحمراء التي تتمايل على غصنها ؟؟ إجلسى هنا سأذهب لأقطفها لك .. ياالله



مأجمل رائحتها الذكية والوانها البديعة ، هل ترين طائر الرقراق الذى يقف على الغصن هناك ؟ مأجمله ...

وفيما كان يصف الزوج لزوجته العجوز هذه المشاهد التى كانت تتوق لها روحها ، وهى مغمضة عينيها ومبتسمة في سعادة عارمة .. وكأنها تتمشى حقا على حافة البحيرة وترى كل هذه الأشياء المبدعة حيث المراكب ، والمحبين ، والأولاد ، والزهور ، والطيور ... فقد فاضت روحها الى بارئها وهى متبسمة كما لو كانت ترى الجنة والملائكة يزفونها .. وجاءت الجارة الصغيرة لتلبى طلبات العجوز بعد وفاة زوجته فوجدته يمكث بجوار الشباك يبكي فسألته لماذا تبكى يا جدى فقال لها من سأقص عليه بعد الآن خيالاتى !! كنت أريد إسعاد زوجتى أكثر من هذا . فهى طيلة حياتها كان لديها شلل اطفال ، ولكنها كانت تضغط على نفسها حتى تخدمنى الى أن وصل بها الحال أن رقدت نهائياً ولم تعد تستطيع حتى أن تقضى حاجتها ، وأنا طيلة عمري كفيف ولكنى كنت أستطيع قضاء حاجتى دون أن تعلم أنى كفيف حتى لا أثقل على كاهلها مرارة خدمتى . وكنت أحكى لها عن مغامراتى الخيالية مع الفتيات وكأننى أرى كل شىء حتى أثير فيها الغيرة علىّ وأشعر بحمها لى وأراه فى عباراتها وهى لاتعلم أنى لم أبصرو لم أرى جمالها رغم أنى كنت أوصفها وصفاً دقيقاً كنت أتخيلها هكذا . فكنت أرى الوجد فى عينيها وأسعد بصوتها المرتعش من الخجل .. كم كنت أتمنى أن يقضى نحى معها ولم تتركنى وترحل وحدها ..